

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[212] وحتى لو تدفّق ينبوع الماء الزلال عند عتبات بيوتهم لأعرضوا عنه ولما نظروا إليه ... وكذلك فهم يعرضون عن آيات "ربّهم" النازلة لتربيتهم وتكاملهم. مثل هذه النفسية لا يقتصر وجودها على عهود الجاهلية ومشركي العرب، فالיום أيضاً نجد من بلغ الستين من عمره ومع ذلك لم يجشم نفسه عناء ساعة واحدة من البحث والتحقيق في القرآن والدين، وإن وقع بيده كتاب أو بحث في هذا الموضوع لم ينظر إليه، وإن تحدث إليه أحد بهذا الشأن لم يصغ إليه، هؤلاء هم الجهلاء المعاندون الغافلون الذين قد يظهرون أحياناً أمام الناس بمظهر العالم المتجبر! ثم تشير الآية إلى نتيجة أعمالهم، وهي: أنّهم عندما رأوا الحقيقة كذبوها، ولو أنّهم دققوا في آيات القرآن جيداً لرأوا الحقيقة وأدركوها وآمنوا بها: (فقد كذبوا بالحقّ لمّا جاءهم)، ولسوف تصلهم نتيجة هذا التكذيب والسخرية: (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون). في هاتين الآيتين إشارة إلى ثلاث مراحل من الكفر تتزايد في الشدّة على التوالي، المرحلة الأولى هي مرحلة الإعراض، ثمّ مرحلة التكذيب، وأخيراً مرحلة الإستهزاء بآيات القرآن. يدل هذا على أنّ الإنسان في كفره لا يتوقف في مرحلة واحدة، بل يزداد باستمرار إنكاراً للحق وعدواة له وابتعاداً عن القرآن. المقصود من التهديد المذكور في آخر الآية أنّ أوزار عدم الإيمان ستحقيق بهم عاجلاً أو آجلاً في الدنيا والآخرة، والآيات التالية تؤكد هذا التفسير. * * *